في الملائكة

مقارنة بين القديس توما وابن العبري

بقلم الخوري انطون طربيه

انشأ ابن العبري ، كما رأينا في المقالة السابقة[1] درساً شاملاً في الملائكة واودعه كل معطيات الوحي والتقليد. فانطوى درسه على خمسة فصول تطرأ بها لاثبات وجود الملائكة وخلقهم وطغيانهم وطبيعتهم ووظيفتهم واستند خصوصاً الى البراهين العقلية ودعمها بشهادات الوحي والتقليد . فاتت مقالته اولى الدروس اللاهوتية القيمة في الملائكة في التقليد الشرقي واللمحة الاولى الشاملة اذ استعرض في سياق درسه كل ما كان يجول من الاساطير بخصوص الملائكة وكل ما زعمه فلاسفة العرب عن العقول المجردة نقلاً عن الافلاطونية المستحدثة . وبان لنا ان فضله يقوم بتلخيصه بمقالة واحدة كل معطيات الوحي والتقليد في الملائكة وقد خصّ البرهان العقلي مقاماً رئيساً في مقالته

١ـ١ القديس توما اللاهوتي فلم يترك لنا مقالة موحدة في الملائكة . بل عدة ابحاث . فقد دعي بحق المعلم الملائكي .

كرّس بعض مباحث القسم الاول من خلاصته اللاهوتية في طبع الملائكة وصلتهم بالاجسام ، وعلمهم وطغيانهم واجراقهم ، ووظائفهم (مبحث ٥٠ ــ ٦٢ : ٨٩ : ١٠٦ ــ ١١٣ والموجز اللاهوتي ، فصل ٧٥ ــ ٧٧ ؛ ١٢٥ ــ ١٢٦) . تناول القديس توما الموضوع باجمعه ودرسه درساً نظرياً بحتاً دون تسلسل منطقي . فاعطانا خلاصة التفكير اللاهوتي في الملائكة ، ذروة لم يكن توصل اليها التقليد الغربي .

لقد كان للغرب في علم الملائكة ما كان معاصره ابن العبري للشرق غير اننا نجد فرقاً كبيراً بين الاثنين يبدو لنا بوضوح اذا ما قارنا آراءهما . نتبع في درسنا هذا تصميم ابن العبري اذ انه متسلسل منطقي .

---

١) راجع المشرق ٤٩ (١٩٥٥) : ص ١٨٥

١ – وجود الملائكة :

بينما يهتمّ ابن العبري بانشاء مقالة لاهوتية فيها القسط الوافر للوحي والتقليد نجد القديس توما في خلاصته اللاهوتية يقوم بتحليل عقلي لاهوتي مستعرضاً بعض نواحي الموضوع . فكأنه يقتبل دون جدال وكحقيقة اكيدة كلّ ما سلّم به الوحي والتقليد فلا يجهد النفس كابن العبري ، لاثبات وجود الملائكة ببراهين عديدة مستقاة من العقل والوحي والتقليد حتى اذا ما تطرّأ اللاهوتي الامر اكتفى ببرهان واحد لتبرير وجودهم :

فيقول في الخلاصة اللاهوتية : لا بدّ لكمال العالم من وجود مخلوقات عقلية مجرّدة عن الجسم فبما ان العقل افضل من الحسّ ينبغي وجود بعض الكائنات الروحية ، مجردة عن المادة لا تدرك الا بالعقل[1] . نجد برهاناً مشابهاً عند ابن العبري يثبت وجود الملائكة من درجات الادراك في الكائنات[2] .

ويجمع الاثنان على القول ان الملائكة مخلوقون . فبما ان الله له وحده الكيان بذاته فهو وحده غير مخلوق اذ انه وجد منذ الازل . اما الملائكة فمخلوقون منه[3] .

« ما خلا الله من الكائنات ، مخلوق ، لانه تعالى عين وجوده وجميع ما سواه يتغاير فيه الماهية والوجود . وحده موجود بذاته والباقون بالمشاركة . فكل موجود بالمشاركة معلول لما هو موجود بالذات » . ويقول ايضاً في الفصل الثاني والثالث من المبحث نفسه ما ملخصه : لم يوجد الملائكة منذ البدء اذ ان الله وحده كان منذ البدء اما باقي المخلوقات فكان لهم بدء . ويرجح انهم خلقوا مع العالم لانهم وجدوا لاتمامه . اما ابن العبري فانه يتبنى الرأي القائل بأنّ الملائكة خلقوا قبل العالم المحسوس لانه يستند الى شهادة معلمين لامعين امثال غريغوريوس النزينزي والذهبي ويوحنا فم الذهب . ويدعم رأيه ببعض البراهين العقلية عن طريق اللياقة والمناسبة . ويدرس مار توما الحالة التي خلق الملائكة بها فيقول انهم خلقوا بحال النعمة التي وضعت فيهم كبذار السعادة

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦١ – ١ .
٢) منارة الاقداس : الركن الخامس فصل ١ ، قسم ١ ، جزء ٢ برهان ٤ .
٣) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦١ – ٢ ، ٣ .

الالهية مستندا في رأي القديس اغوسطينوس . بيد ان ابن العبري لا يقول ان الملائكة خلقوا في حال الطبيعة . فابن العبري لا يتعرض للامر مباشرة غير انه اذ يتكلم عن صلاح الملائكة يقول : انهم ليسوا صالحين بالطبع بل بالنعمة لان الله وحده صالح بالطبع فمن ليس له الكيان بذاته ليس له الصلاح بذاته[1] .

٣ – طغمات واجواق الملائكة :

تتنوع طغمات الملائكة واجواقها في نظر القديس توما بتنوع الاساليب التي توجد بها المعقولات في العقل . لان المعرفة في العقول المجردة هي الفعل الاساسي لبقية الافعال التي تصدر عنها . يوجد طغمة اولى تصدر عنها الاعلانات لكل المخلوقات . فالجوق الاول يرمز الى الغاية التي يجب تحقيقها ، والثاني الى تصميم العمل في نفس الفنان ، والثالث الى تحقيقه .

اما الطغمة الثانية فتدل على فكرة الله كما توجد في العلل العامة . فالجوق الاول يأمر بما يجب عمله ، والثاني يحرك الى التحقيق والثالث يزيل العوائق .

والنوع الثالث من وجود المعقولات في العقل هو دخولها في طور التحقق وبلوغها انا ، وهذه ميزة الطغمة الثالثة .

فالرؤساء هم كاملون على البشر ، ورؤساء الملائكة يشرونا بما يفوق العقل البشري ، اما الملائكة فيفيدونا عما يهم سير حياتنا[2] .

ويسرد القديس توما طغمات الملائكة واجواقهم متبعاً تنظيم الاديوفاجيتي . ثم يشرح اسماء الاجواق فيقول: المراد بالطغمة الرئاسة وكلمة رئاسة تعني امرين: الرئيس والكثرة المرؤوسة . فلما كان الله رئيساً لجميع المخلوقات كانت باسرها طغمة واحدة امامه . واما اذا ما اعتبرت بذاتها كانت مختلفة حسب اختلاف تدبيرها . وهكذا فالطغمات تختلف باختلاف الانارة .

يوجد ثلاث طغمات : الاولى هي على اتصال مباشر باللاهوت ، والثانية تدرك الامور بعللها الكلية ، والثالثة تعنى بالجزئيات . وفي كل طغمة يوجد ثلاثة اجواق : جوق اعلى وجوق اوسط وجوق ادنى . وسبب ذلك ان الطغمة جماعة مرتبة . فلزم ان يتخللها اذن مراتب مختلفة . فكما ان المراتب في المدينة

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦٢-٣ ، ابن العبري فصل ٣ ، قسم ٢ ، جزء ٤ ، جواب ٤

٢) موجز فصل ١٢٦

ثلاثة : الفلاحون والجنود والقضاة كذلك كل طغمة تنطوي على ثلاثة اجواق تختلف باختلاف الدرجة والوظيفة . واختلاف الدرجات يأتي من اختلاف القوى الطبيعية والمواهب المعطاة من الله لكل جوق[1] .

ويشرح اسماء الملائكة بالاستناد الى شرح ديونيسيوس الاريوفاجيتي . اما ابن العبري فاكتفى بان اورد طغمات الملائكة واجواقهم حسب تنسيق الاريوفاجيتي . غير انه دعم هذا التقسيم ببرهان من الوحي فرأى في الصفوف الاربعة من الحجارة الكريمة التي وضعت باسم الله في رداء رئيس الكهنة رمزا الى الطغمات الثلاث السماوية والى طغمتنا الارضية المؤلفة من الاساقفة والقسوس والشمامسة . وكما انطوى كل صف على ثلاثة حجارة كريمة مختلفة ، هكذا تنطوي كل طغمة على ثلاثة اجواق[2] .

ثم يسعى الى الاستقصاء عن اصل اسماء الملائكة من الكتاب المقدس ويشرحها وفقاً لشرح ديونيسيوس[3] .

ينبغي القول ان قسط الابتكار ضئيل في هذا القسم اذ ان الاثنين يكتفيان بايراد التنظيم الاريوفاجيتي وبترداد نظريته في معنى الاسماء . الا انهما اجتهدا الى تبرير هذا التنظيم فعمد القديس توما الى برهان عقلي لا بأس به ، واتى ابن العبري برمز من الكتاب المقدس . الا ان شرحه للصفوف من الحجارة الكريمة التي وضعت في رداء النفران يظل مذهباً خاصاً ليس في النص ولا في التقليد ما يدعمه .

فالقديس توما وابن العبري يكتفيان اذن بمعطيات التقليد فيما يخص طغمات الملائكة واجواقهم ، هذا التقليد الذي يرتقي الى التآليف المنسوبة للاريوفاجيتي والتي يرجح انها لم تتعدَّ الجيل الخامس . فلائحة الاريوفاجيتي المزعوم ما عتمت ان انتشرت في الشرق والغرب وتناقلها اللاهوتيون اجمع منذ القديس غريغوريوس الكبير الى يوحنا الدمشقي . ولقد وجدناها ايضاً عند ابن الحجر في الجيل التاسع . فلا بدع اذا ما تناقلها ايضاً القديس توما وابن العبري .

---

١) خلاصة لاهوتية ١٠٨ : ١-٢

٢) منارة الاقداس ركن ٥ فصل ٢ ، قسم ١ جزء ١-٢

٣) « « « « ، قسم ٢ جزء ١-٢

٣ – طبع الملائكة :

إن كان وجود الملائكة لم يستوعب انتباه القديس توما بل اكتفى ان يُلمح اليه فقط فانه قد توسع في درس طبعهم . فهذا القسم رئيسي عنده وعند ابن العبري . فالتحليل عند الاثنين عقلي غير ان ابن العبري يستنجد احياناً شهادات الوحي والتقليد ليدعم ما توصل اليه بالبرهان العقلي . الملائكة ارواح بسيطة غير مركبة منزّهة عن المادة وغير مرتبطة بها . ليسوا محصورين في مكان على شكل الاجسام المحسوسة والمادّية وغير منظورين . فكونهم ظهروا للمختارين باشباه متنوّعة ومختلفة يدلّ على عدم جسمانيتهم . يستشهد ايضاً ابن العبري بغريغوريوس النزيزي وكيرلس الاسكندري .

انهم غير مائتين بالطبع ، ولا يتبهم فساد ، لكونهم ارواحاً مجرّدة وصوراً غير مقترنة بمادّة . بما انهم عاقلون لهم الاختيار بان يحافظوا على شريعة الله او يتعدّوها ولكنهم بعد زمن الاختبار ترسخوا في الخير والصلاح فلم يعودوا يحيدوا عنه[1] .

نجد ايضاً عند القديس توما ان الملاك روح محض لانه اقرب الخلائق الى الله. فكمال الخليقة يقتضي بان يوجد خلائق روحانية منزّهة بالكليّة عن المادّة. فجوهر الملائكة صورة مجتة منزّهة عن المادّة . من هنا ينتج ان الجواهر الروحانية ليست مؤلفة من مادّة وصورة بل من صورة فقط . لذلك لكل ملاك جنس في ذاته اذ ان لكل اقنوم صورة فقط تستوعب الجنس تاماً ولا يمكن ان يشترك ملاكان في جنس واحد[2] .

ان ابن العبري ينقض هذا الرأي فيقول ان لكل جوق من اجواق الملائكة جنساً خاصاً . اما افراد الجوق الواحد فتختلف بالاقنوم. فرأي القديس توما نجده عند ابن سينا في العقول المفارقة وانه قريب للعقل اكثر من رأي ابن العبري فوحدة الجنس البشري الذي نشترك به جميعاً تأتي من قبيل المادة . اما الصورة فتتحقق في كل شخص بحسب اهلية واستعداد المادة . لذلك نجد افراداً كثيرين

---

١) منارة الاقداس : ركن ٥ ، فصل ٣ ، قسم ٢

٢) خلاصة لاهوتية : ١ : ٥٠ ، ١–٤

يشتركون في الجنس الواحد . اما في الملائكة حيث لا يوجد مادة فالصور تتعدد وتتميز بتميز الاقانيم . وهذا ما يجب ان يسلم به ابن العبري لانه ينفي عن الملائكة المادة .

اما بخصوص حرية الملائكة فيقول اللاهوتي . بما ان طبيعة الملاك عاقلة فله حرية الاختيار الانسان العاقل هو من ادرك غايته والواسطة التي توصله اليها فوجه ارادته وقواه لتحقيق ما يوافق هذه الغاية والانسان حر لكونه يوجه ذاته للعمل[1] .

وهذا لا يعني ان الملائكة تقدر ان تسقط في الخطيئة او ان تخالف الله : فكما ان الملاك الصالح لا يمكنه ان يفكر او يرغب بخلاف ما يريده الله هكذا لا يقدر ان يخطئ .

يبدو جلياً في هذا القسم ان ابن العبري يتوصل للنتائج ذاتها التي توصل اليها القديس توما بالاستناد الى التحليل العقلي — ما خلا اختلاف الجنس في الملائكة الذي نبذه ابن العبري ونسبه للفلاسفة الوثنيين فآراء الاثنين تكاد تتفق اتفاقاً تاماً لانهما يستندان الى التحليل العقلي ، فمن مقدمات مطابقة يتوصلان الى النتائج ذاتها .

غير ان تفكير اللاهوتي اكثر ايجازاً واقوى بناء وارسخ برهاناً . اما تفكير ابن العبري فاكثر استناداً الى الاختبار الحسي واقرب منالاً للفهم وميزته هي انه يستند الى شهادة الوحي والتقليد . وقد نجد في بنا ابن العبري بعض الضعف سواء كان بما يخص جنس الملائكة او بما يتعلق بحرية الاختيار عندهم . يبدأ فيقول انه بامكان الملائكة ان يحافظوا على شريعة الله او ان يتعدوها ولكنهم توسخوا في الصلاح بعد الاختبار . انه لاوفق واوضح عندما نتكلم عن حرية الملائكة بان نتخذها بالمعنى الاغوسطيني . الحرية تقوم بعمل ما يوافق خير الانسان او غايته لا بمعنى امكانية اختيار الخير او الشر . فبهذا المعنى حرية الملاك لا تنفي عدم امكانيته بارتكاب الخطيئة .

---

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٥٩ - ٢

٤ – علم الملائكة :

درس القديس توما هذا الموضوع درساً مسهباً فكرس له في خلاصته اللاهوتية خمسة مباحث (مبحث ٥٤ – ٥٨) . وهذا دليل واضح على ما اعاره من الاهمية .

اما ابن العبري فلم يكد يتطرأ له بصورة مباشرة – ويكتفي بالكلام عن انارة الملائكة بعضهم لبعض انارة تدريجية . غير انه في النظريات التي يعطيها في القسم الاخير من مقالته عن آراء الفلاسفة في الملائكة ينسب لهم في علم الملائكة بعض الآراء القريبة جداً من آراء القديس توما . كل عقل يعقل ذاته بعقله سواء اذ انه صورة مجردة بعيدة عن المادة ويعرف كل شيء بصورة عامة اجمالية ولا متغيرة لانه بسيط[1] .

لنأت الآن الى درس نظرية القديس توما في علم الملائكة . فيقول : بما ان وجود الملاك يمتاز عن جوهره فان تعقله ليس عين وجوده لذلك فهو بحاجة لمعرفة ذاته . وان كانت النفس البشرية لكونها صورة الجسد لا تعلم الا عن طريق الحواس فيرافق الارواح المجردة ان تعلم بدون مساعدة الحواس[2] .

ويتكلم القديس توما عن معرفة الملاك بذاتها فيميز بين ما يدعوه معرفة صباحية يدرك بها الملائكة كل شيء بالكلمة ومعرفة مسائية يعرفون بها الاشياء. ليس بذواتهم – هذه ميزة الهية – ولكن بواسطة صور مفاضة لانه كلما كانت الطبيعة سامية وكاملة كلما كان لها قوة مستكملة بالفعل فلا تحتاج الى صور مستقاة من الاشياء للمعرفة . لذلك قد وضع الخالق في الملائكة صوراً للأشياء .

فوجود معرفتين في الملاك امر محتمل اذ ان لكل معرفة طريق خاصة وموضوع خص بها . اما الصور المفاضة فهي اعم واوجز عند الملائكة الاعلين منها عند الادنين فكلما كان الملاك اسمى كانت له قدرة اعظم لادراك عموم المعقولات بصور اقل . يوجد مثلاً اناس لا يقدرون لضعف عقلهم ان يدركوا

١) خلاصة ١ : ٥٥ ، ١–٣ ؛ ٥٨ ، ٧

٢) خلاصة ١ : ٨٩ ، ١

حقيقة عقلية مـا لم تبين لهم على وجه التفصيل ومنهم من هم اذكى عقلاً واكثر ادراكاً فيستطيعون ادراك كثير من قليل[1] . هكذا فالملائكة الاعلون يدركون بقليل من الصور اكثر من الملائكة الادنين . وبما ان الملاك صورة مجرّدة ففي تعقله الاشياء يعقل ذاته فهو اذن معقول بالفعل ومعرفته الاشياء الطبيعية بواسطة الصور المفاضة معرفة عامة واجمالية[1] .

وهو يعلم الاشياء المادّية ايضاً . فكما ان الموجودات العليا اكمل من السفلى وان ما يوجد في السفلى على وجه النقصان والكثرة يوجد في العليا على وجه الكمال والبساطة . فالملائكة بما انهم اقرب المخلوقات الى الله واشبهها به فجميع الاشياء المادّية توجد فيهم ببساطة وتجرّد اكثر من وجودها في ذاتها واقل كمالاً ووحدة من وجودها في الله .

ويؤكد القديس توما معرفتهم للجزئيات اذ انه لا يمكن ان يعتنوا بما ليس لهم معرفة به . وبما انهم يعتنون بالجزئيات اي بالافراد وبالاشياء فان لهم معرفة بها . لا يعرفون المستقبل بذاته ، هذه ميزة الهيّة ، ولكن على سبيل الاستنتاج والتخمين .

لا يعرفون افكار القلوب وخفايا الضمائر بذاتها بل في مفاعيلها الخارجية كالطبيب الذي يعرف بواسطة النبض الانفعالات الداخلية . اما الاسرار الآلهية فيعرفون منها ما شاء الله ان يكشف لهم[2] .

فما الفرق اذن بين معرفة الملاك ومعرفتنا ؟

الفرق هو ان معرفة الملاك تامة كاملة منذ البدء اما معرفتنا فتدعى ناقصة لانها تكتسب بالتدريج . وسبب ذلك ان العقول الباوية لها كمالها بالعقل اما الانفس البشرية ، فلها كمالها بالقوة وبالتدريج .

كل هذا الدرس مفقود في مقالة ابن العبري لانه دون شكّ لم يجده عند سابقيه لاسيما في درس الاريوفاجيتي وفي مقالة ابن الحجر . لذلك فنحن مدينون به لتفكير القديس توما الخلاق الذي لم يكتفِ بتنسيق مـا وجده من مواد — شأن ابن العبري — بل كمّل وزاد . انه دون شك تأثر بآراء فلاسفة العرب

١) خلاصة ١ : ٥٦ ، ١-٢ ؛ ٨٩ : ٣

٢) خلاصة ٥٧ : ١-٥

... تا يخص معرفة العقول مجردة ... مستقى بالتفكير العقلي نصريته في علم الملائكة . ومما يؤكد لنا ذلك هو ما يقوله بخصوص الملائكة ما يقوله في معرفة العقول المجردة[1] . غير انه يستطرد فيقول ان للملائكة معرفة تامة واجمالية بالاشياء اوضح واتم من معرفة العقول المجردة .

ويتكلم القديس توما في مكان آخر عن انارة الملائكة بعضهم لبعض فيقول : الانارة هي الطريقة التي يكشف بها ملاك فكرته لسواه . فالاعلى ينور الادني . فاذا ما اقتبل الاول حقيقة بصورة اجمالية ابلغها للادنى فقبلها بصورة اقل اجمالاً . فالانارة من الاعلى للادنى ولا تعكس . اما كلام الملائكة فيقوم بان يتجه تصور ملاك الى ان ينكشف بارادته لسواه . فالادنى بامكانه ان يخاطب الاعلى ولكن لا يمكنه ان ينيره اذ كل ما يعرفه ويعمله الادنى يعرفه ويعمله الاعلى بشكل اعم . وبما ان فعل الملاك العقلي مجرد عن المكان والزمان فلا يؤثر المكان والزمان في كلام الملاك ، غير ان افكار الملاك لا تظهر الا للذي يرغب في ان يكشفها له[2] . من هنا يبدو الفرق بين الانارة والمخاطبة . الانارة تعني افادة الادنى واعلامه حقائق يجهلها . اما المخاطبة فهي مجرد تبادل الحديث .

لقد نوه ابن العبري ايضاً عن الانارة وقال انها تحدث بشكل تدريجي فالاعلانات تأتي مباشرة من الله الى السارفيم الى الكاروبيم الى ان تنتهي الى جوق الملائكة فالينا .

وهنا يبدو تأثير الاريوفاجيتي جلياً بما يخص التسلسل في الانارة من الله الى البشر . فعنه اخذ القديس توما وابن العبري آراءهما في الانارة وفي تنظيم العلاقات بين الاجواق الملائكية[3] . اما التمييز بين الانارة والكلام فانه عند القديس توما .

يمكننا القول ان ابن العبري اقتصر بما يخص علم الملائكة على ما وجده في درس ديونيسيوس وابن الحجر غير ان القديس توما اوفى الموضوع حقه بالتحليل العقلي فادخل في التقليد الغربي درساً لم ينطو عليه الوحي والتقليد . وفضله

---

١) خلاصة ٨٩ : ١-٣ ؛ انظر ابن سينا : نجاة : ٤٥٥ و٤٥٤

٢) خلاصة لاهوتية : ١٠٦ : ١ ؛ ١٠٧ : ١-٥

٣) منارة الاقداس : ركن ٥ فصل ٢ قسم ٣ حبر ١٠ : ٢

الكبير هو انه استخدم في كلامه عن الملائكة ما قاله فلاسفة الغرب في العقول المجردة فتوصل اليه بالتفكير العقلي من كونهم ارواح محضة .

٥ – وظيفة الملائكة :

كلف الله الطغمة الثالثة بادارة شؤون الخليقة فاقام لكل فرد ملاكاً يحرسه اذ ان العناية الالهية تقضي بان المتحركات والمتغيرات تحرك وتدبر بما ليس متحركاً . وهكذا فجميع الجسمانيات تدبر بالجواهر الروحانية . لذلك شاء الله ان يوجد ملائكة حراس لسائر المخلوقات التي ابدعها . وهؤلاء الملائكة يقومون مقام العناية بالقرب من البشر فانهم يعنون بكل نفس ناطقة من المهد الى اللحد . فقسط المؤمن من عنايتهم كقسط غير المؤمن لان النعم التي يوليها الله الانسان من حيث هو مسيحي تبتدئ منذ العماد وما يوليه اياه من حيث هو خليقة ناطقة يخصه به منذ الولادة[1] .

ويحذو ابن العبري حذو القديس توما فيقول بملاك حارس لكل شخص ويثبت كلامه بشهادات مستقاة من الكتاب . ويدحض الرأي القائل بملائكة حراس المؤمنين فقط . يستشهد بالتثنية ٣٢ ، ٨ « وضع العلي تخوم الامم على عدد ملائكة الله » (حسب نص السبعينية) وبسفر دانيال الذي يتكلم عن رئيس مملكة فارس فيقول ان لكل امة وشعب ملاكاً صالحاً او شريراً يدبرها . وحتى العناصر الاربعة والطبيعة باسرها لها ملائكة تعنى بها وتحركها اما للفائدة واما للمضرة .

انه لرأي نجده عند يوستينوس ثم عند اوريجانوس وابيفانيوس والكبادوكيين، يقول بان للطبيعة ملائكة يعنون بها . فيوستينوس يتكلم عن الملائكة الذين يهتمون بكل ما تحت السماء[2] . وهرماس يضع الملائكة في كل مكان ويقول ان للحيوانات ملائكة تعنى بها[3] . واوريجانوس يقول : انه يوجد ملائكة تدبر العناصر : الهواء والنار[4] . اما ابيفانيوس فيقول انه يوجد للمطر والغيم والثلج

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ١١٣ ، ١–٤

٢) Apologic II, 5. P.G. VI, 432

٣) Hermas, simil. 8,3. P.G. II. 974 : visis, 4,6. P.G., II. 902,928

٤) Origène, in Jerem. Hom. 10,6. P.G. 13. 365

والحوارة ملائكة حقه [1] . راجع ايضاً انوح مزنب ـي هو مصدر كل هذه الآراء [2] .

ويزيد ابن العبري بالاستناد الى رأي قديم لنح اليه رسطو في مـا فوق الطبيعة ان لكل فلك من الافلاك ملاك يديره [3] .

اذا ما سعينا باعطاء نتيجة هذه المقارنة بين درس القديس توما ومقالة ابن العبري وجدنا ان الاول يتعرض لبعض المواضيع فقط فيحللها تحليلاً نظرياً ويعنى خصوصـاً بالنواحي الفلسفية من الموضوع : علم الملائكة ـ صلتهم بالمكان وكلامهم — وما سوى ذلك من النواحي التي تستند الى معطيات التقليد فانه اكتفى بان يلتمح اليها وان يجد لهـا تبريراً من قبل العقل : وجود الملائكة ، طبائعهم . اما الثاني فيجمع ويلخص كل معطيات الوحي والتقليد لانشاء مقالة مبنية متناسقة . لذلك نراه يحرص على درس كل نواحي الموضوع درساً لاهوتياً . يبدأ فيعطي برهان العقل ويعمد الى شهادات الوحي والتقليد ليدعم بها ما توصل اليه بالتفكير العقلي . يسعى الى ان يـركب في قالب نظري ما وصل اليه عن طريق التقليد كما رسمه العظيم ديونيسيوس [4] وتوسع به زميله ابن الحجر مدخلاً برهان الوحي والتقليد .

فابن العبري نظري في مقالته وحجته قوية غالبـاً غير انها لا تعادل حجة القديس توما . لقد كان له نظرية خاصة ونهج خاص في درسه غير انه ظل متقيداً بما وجده عند ابن الحجر فحلل ما وجده في التقليد تحليلاً عقلياً . غير ان تفكير القديس توما اغنى واعمق واكثر ابتكاراً وفلسفته اثبت . يلج موضوعه الى النهاية فلا يكتفي بأن يحدده من الخارج او يعرض ما قيل عنه مستقصياً كل الروايات التي كانت تروج عن الملائكة .

واحد يجمع ويتقيد بما يجمعه والآخر يولد ويخلق مستعيناً احياناً بفلسفة لا

---

١) Epiphane ; P.G. 43, 276

٢) Henoch Ethiop. 43, 2 ; 60, 12 ; Hen. slave, 19,2 ; 16,7.

٣) منارة الاقداس ركن ٥ ، فصل ٢ قسم ٦ ، جزء ٤

٤) كان ديونيسيوس او الاريوفاجيتي المزعوم يعرف عند المرقوريين بالمعلم ديونيسيوس نظراً لسلطته .

صلة لها بالدين فيأخذ عنها ما ينتفيه مشذباً مصلحاً بعض الادوات التي يستخدمها في بنائه الجديد لخدمة الله والدين .

كل ادرك حاجة عصره وسعى الى ان يجاوب عليها باسلوبه الخاص . فابن العبري توخى بان يكون جامعاً ملخصاً للتقليد الشرقي تاركاً للاحفاد تقاليد آبائهم الدينية اما القديس توما فاراد ان يخلق شيئاً من لا شيء . فكلاهما حققا رسالتها احسن تحقيق . فعلم الملائكة مدين لابن العبري باول مقالة لاهوتية كاملة وللقديس توما باول تحليل فلسفي قيم . فالاثنان صورتان لمجرى التفكير في الشرق والغرب . بينما نرى الشرق يكتفي بالجمع والتلخيص نجد الغرب يعمد للخلق والابداع . وما ذلك الا لان نفوس الشرق قد ضعف من جراء الانقسامات والحروب وقضي على وحدة الكنيسة فاخذ الشرق المسيحي يعيش في ماضيه والغرب يسعى الى الامام .